**المحاضرة: الثانية**

**أولاً : تمهيد في مفهوم المدرسة.**

**من المعلوم أن النظام التربوي والتعليمي في الإسلام قام على مؤسستين هما : الأسرة والمسجد , فللأسرة واجباتها التربوية والتعليمية وهي معروفة ومنصوص عليها في الكتاب والسُنّة , أما المسجد فقد كان موئلاً للمسلمين في أخذ تعاليم دينهم من النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) وأصحابه الكرام من بعده . والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)  أوَّل من نظَّمَ جلوس المسلمين على هيأة حلقة والأخذ عنه والتلمذة له , ثم أصبحت هذه السنَّة قائمة إلى يومنا هذا فلم يعرف تاريخ التعليم في الإسلام مصطلح : (المدرسة ) إلا في وقت متأخر 0**

**فأول من فكر في إنشاء مدرسة من الخلفاء الخليفة العباسي المعتضد ( ت289هـ) حينما بنى قصره في الشماسية ببغداد كما ذكر المقريزي في خططه , وقد تُوُسِّع في بناء المدارس وأُلحقت بالمساجد في القرن الرابع الهجري وما بعده وكانت الغاية الأولى لمواجهة الزحف الفكري للفاطميين 0**

**إذاً فالمدرسة واقعاً وحقيقةً دخلت الحياة العربية الإسلامية في وقت متأخر , على حين بدأ الدرس النحوي يتشعب ويتجه مذاهب شتى في القرن الثاني للهجرة , وخير شهيد على ذلك (كتاب سيبويه) الذي انطوى على علم الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 ه) ، وسواه من مشايخ سيبويه , واجتهاد سيبويه نفسه , وجهده في السماع والقياس 0 وقبل ذلك اشتُهِر عن علماء النحو الخلاف في مسائله والصراع الذي دبَّ بينهم وبين الشعراء المعاصرين لهم من مثل ما جرى بين عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي والفرزدق , فذلك الصراع يمثل انحياز النحوي لمذهبه القائم على القياس , وعدم أخذ اللغة من المعاصرين والاستشهاد بالنصوص الشعرية والنثرية التي تنتمي إلى عصر النقاء اللغوي المسمّى بعصر الاحتجاج 0ونسب الفراء (ت 207 ه) المذهب النحوي لعالم من العلماء فقال : ( وهو مذهب أبي جعفر المدني ) معاني القرآن 2/264 0**

**وبعد أن استقر واقع المدرسة في الحياة العربية الإسلامية وهي تطلق على مبنًى يضم طلبة وشيوخاً وأساتيذ ومنهجاً ومادةً للدرس ، كانت عامةً في بداياتها , ثم آلت إلى التخصص الدقيق وتنوعت مواد الدرس في تلكم المدارس وأصبح من الطبيعي أن يطلق اسم المدرسة على شيخ من الشيوخ فيقال : ( فلان مدرسة ) , على سبيل المجاز 0**

**وقد تأخر استعمال مفهوم المدرسة المجازي الذي يطلق على اتجاه في الدرس يمثله مجموعة من الشيوخ أو الرواد وطلبة يتبنون هذا الاتجاه ويدافعون عنه وينشرونه بين الناس , وكان يطلق على هذا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي : (المذهب )0**

**وأول المذاهب كانت في الفقه لأنه ألصق بالحياة ؛ لضرورة التعاطي مع تطوراتها , فظهرت المذاهب الإسلامية التي تنظم شؤون الناس في أمور دينهم ودنياهم ، وأُخِذَ هذا المصطلح من الفقه ليدخل على سائر العلوم اللغوية وسواها0**

**وكان القدماء ، في ما يخص الدرس النحوي ، ينصُّون على مذهب أهل البصرة ، ومذهب أهل الكوفة 0 ولسنا ملزمين مثلما أراد لنا الدكتور إبراهيم السامرائي أن نحذو حذو مفهوم المدرسة عند الغربيين في العصر الحديث ، فنحن ننظر إلى تراثنا اللغوي عامة والنحوي خاصة على أنه معين لاستخلاص المفاهيم سواء ما يتعلق بتنظيم المعرفة أو تتبع أصولها وفروعها واتجاهاتها , وقد وجدنا ونحن ننظر في هذا التراث أن الأمر استقر لديهم على وجود مدرستين : البصرة والكوفة.**

**أما ما ظهر من درس في بغداد فهو محاولة للتقريب بين مفاهيم المدرستين , وقد بقي البغداديون -كما يُسمّون - يحرصون على انتمائهم للبصرة أو الكوفة , وحينما ننظر في كتب أبي علي الفارسي نجده وهو يتكلم على مدرسة البصرة , يقول : ( قال أصحابنا ) وحينما يتكلم على الكوفيين , يقول : ( قال الكوفيون ) أو ( قال البغداديون ) , وبذلك نكتشف أن لا حجّةَ لمن رأى في الدرس النحوي في بغداد أنه مدرسة 0**

**وكذلك حينما نتأمل الدرس النحوي في الأندلس نجد أن أصوله الأولى كوفيةٌ ، ثم آل إلى البصرية بعد أن درس الأندلسيون كتاب سيبويه على ابن النحاس (تـوفي 338 ه) في مصر , ثم بعد ذلك تأثر ، ذلك الدرس ، في ما جدَّ عندهم من المذاهب الفقهية مما سمَّوه ( المذهب الظاهري ) فكانت صرخة ابن مضاء القرطبي ( توفي 592 ه ) في كتابه : ( الرد على النحاة )0**

**فإمام الأندلسيين المسمى ( جودي ) المتوفى سنة 198 للهجرة ، درس في الكوفة على الكسائي وهو الذي نشر علم الكوفيين في الأندلس , لذلك قلنا : إن الدرس بدأ كوفياً قبل أن يصبح بصرياً 0**

**وكذلك الأمر في الدرس النحوي في مصر و الشام , فيفتخر علماء هذا الدرس ببصريتهم فهم ينتمون إلى المدرسة البصرية , ومنهم من حاول التوفيق بين المدرستين جرياً على طريقة البغداديين , وأبرزهم الإمام ابن مالك ونجد هذا عند صاحب الفكر النحوي الأصيل والفكرة الحرة غير المتعصبة : الإمام الرضي الاسترباذي في شرحه على كافية ابن الحاجب في النحو 0**

**وصفوة القول فنحن لا نأخذ بما ظهر من محاولات هدفها نسف مدرسة الكوفة لأسباب غير علمية أو تلك التي سعت إلى التعسف أكثر ونفت أن يكون لنا مدارس نحوية على ما جاء في كتاب ( المدارس النحوية حقيقة أم وهم ) للدكتور إبراهيم السامرائي , فهذه آراء تبتعد عن روح العلم وما يقتضيه من موضوعية في الدرس والتمحيص والتدقيق. وباعثها التعصب الذي يقتل العلم والخلاف الشخصي بين العلماء , ولا نأخذ كذلك برأي الدكتور ( حسن عون ) الذي تأثر بدراسة النحو عند اليونان ورأى أن النحو ارتبط بأشخاص ولا توجد مدارس نحوية عند العرب ويمكن الرجوع إلى كتابه ( تطور الدرس النحوي ) لملاحظة تفاصيل ذلك 0**